

في الدراسات اللغوية السياقية فِعْلَا النجاة (أنجى و نجى) في قصص القرآن دراسة دلالية

ا.م.د. محمد توفيق الدغمان/جامعة الأنبار-كلية الآداب
بمشاركة الباحثين : (أ.م. علي حسين خضير / جامعة الأنبار - كلية الآداب)
و (أ.م. د. عبد الباسط عبد الكريم مطرود / كلية الإمام الأعظم)

المستخلص

هذا البحث يدرس الدلالة السياقية بين صيغتي (فَعَّلَ) و (أَفْعَلَ) في لفظتين هما ؛ (نَجَّى) و (أنجى) كما استخدمتا في القرآن الكريم. ، وعلى الرغم مما ذكره سيبويه (١٨٠هـ) بإن زيادة الهمزة على الفعل الثلاثي قد يراد بها التعدية ، وُجِعِلَ من معانيها الإزالة ، إلا ان عدد من القدامى ذهب إلى أن الأولى بمعنى الثانية ، وهي توكيد لها ؛ وإنما خالفَ بين الصيغتين لكرهية التكرار . ومع هذا الفعل ننتبين من معانيها سرعة الاستجابة للطلب ، وسرعة التنفيذ ، والمفاجأة ، فيستعمل (أنجى) للإسراع فيها ؛ لأن (أنجى) أسرع من (نَجَّى) في التخلص من الشِدَّة والكرب " . وختاماً أخلصُ إلى تأييد القول الذي يرى ضرورةً في حصول التوافق اللفظي المعنوي في مجمل آي القرآن الكريم ؛ ألفاظه وحروفه، أسمائه وأفعاله ، أدواته وأصواته ، بحسب المقام وبحسب الحال المجتمعي الذي ظهر في أحوال السياق ، فكان مدعاةً للتنوع .

Abstract

This is a study of the contextual meaning of two morphological forms of one verb which are (Naja) and (Anja) as used in the holy Quran> Although the linguist Sebawayh (D. 180 AH.) states that the addition of Hamza to the three forms verb is intended to signify plurality (and also erasing), other linguists believed that these two forms are the same in meaning and that the second is an emphatic form of the first. Yet, the second form connotes the quickness of response and answer. So (Anja) is used for quickness as it is faster than (Naja) in relieving distress. Finally, I agree with the correspondence between meaning and utterance in all the Quranic verses as dictated by the context in which they occur.

توطئة :

نزل القرآن الكريم على نبيِّنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم والصحابة رضوان الله عليهم أفصح العرب ، وأولو بيان وفهمٍ بارع ، لكنهم كانوا يسألون رسول الله (عليه السلام) عن دقائقه فيبينها ، ودعا لابن عباسٍ فقال : (اللهم ففِّه في الدين وعلمه التأويل)^١ ، فبين كثيرا مما يجهلون ، ثم انتهج الصحابة الكرام في تفسير ما لم يفسره النبي عليه السلام ، نهجهم في تفسير لغتهم التي أنزل بها القرآن ، قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : (أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم ؛ فإن فيه تفسير كتابكم)^٢ ، وبعدها تتابع الرهط من الناس يفسرون ، إلى أن ظهرت التأويلات السياقية قديماً ، وكان المروج لها بلا منازع الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، في دلائل الإعجاز^٣ ، و تلاه آخرون ، وقد أكد علم الدلالة هذا الأمر ، (فـ) فيرث (نصّ على الوظيفة الاجتماعية للغة^٤ ، ويذهب (أولمان) إلى أن الكلمة يظهر معناها من نظمها مع غيرها^٥ . فكان للسياق أهمية بالغة في بيان المجمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، فظهرت الدلالة الاجتماعية أو السياقية^٦ .

" ومن صفات الكلام البليغ أن يجري على مقتضى الحال الداعية له ، فإن لم يكن على تلك الصفة خرج من دائرة البلاغة ، وحسب من الكلام أو الأصوات ! ، ... ورعاية مقتضى الحال هي في الواقع الميزان الذي يوزن به الكلام ، ويُمايز بين فاضله ومفضوله " ^٧ .

" واعلم أن القرآن كلام الله (تعالى) قد حارت العقول في معانيه ، وقصرت الأفكار عن التوصل إلى دقائق ما فيه ، مشتمل على أسرار لا تتضح إلا لمن فضله الله الكريم على غيره ، وأما ما ورد فيه مما يوهم التناقض ، فهو بالنسبة إلى أذهاننا الفاترة وفطننا القاصرة " ^٨ .

" إننا ندلُّ على شيء من مواطن الفن والجمال ، في هذا التعبير الفني الرفيع ، ونضع أيدينا على شيء من سمو هذا التعبير... أما شأن الإعجاز ، فهيهات ، إنه أعظم من كل ما نقول ، وأبلغ من كل ما نصف " ^٩ .

هذا البحث يلامس الدلالة السياقية بين صيغتي (فَعَّلَ) و (أَفَعَلَ) في لفظتين هما ؛ (نَجَّى) و (أنجى) ، وعلى الرغم مما ذكره سيبويه (١٨٠هـ) بقوله : " وقد يجيء الشيء على فَعَّلْتَ فيشرك أفعلت كما أنهما قد يشتركان في غير هذا ، وذلك قولك : فَرِحَ وفَرَّحْتَه ، وإن شئت قلت : أفرحته ، وغَرِمَ وغَرَّمْتَه وإن شئت أغرمته ، كما تقول : فَرَعْتَه وأفزعته " ^{١٠} فإن زيادة الهمزة على الفعل الثلاثي قد يراد بها التعديّة^{١١} ، وجُعِلَ من معانيها الإزالة^{١٢} ، وذهب عدد من القدامى إلى أن الأولى بمعنى الثانية ، وهي توكيد لها ؛ وإنما خالف بين الصيغتين لكرامة التكرار ، وذلك عند تعرضه لقوله تعالى : ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ((سورة البقرة/٤٩-٥٠ - ١٣ .

ومع هذا الفعل نتيين من معانيها سرعة الاستجابة للطلب ، وسرعة التنفيذ ، والمفاجأة ،
فيستعمل (أنجى) للإسراع فيها ؛ لأن (أنجى) أسرع من (نجى) في التخلص من الشدة
والكرب " ١٤ .

ولأبي السعود تقريب لطيف في قوله تعالى : (فأنجيناها) ، بقوله : " هو كما في قوله
تعالى : (فانفجرت) ، أي وقع ما قع فأنجيناها " ١٥ ، فربط بين مفاجأة الانفجار ، ومفاجأة
النجاة ، والسرعة ، وأن الأمر مع (أنجى) دال على لزوم تحقق الأمر على وجه السرعة .
وجعلوا من معاني التضعيف في المضعف ؛ التكاثر والتوسيع ، والإجابة المتأنية ،
وتثبيت الحقائق وتأكيد نوعها ١٦ ، وذهب بعضهم إلى أن من معاني (نجى) التلبث والتمهل
في النتيجة ١٧ ، ونستشف من معانيها في السياق القرآني الدلالة على تكرار الأحداث ، وهو
ما نبه عليه الخطيب الإسكافي (٤٠٥ هـ) وجعله من عادة البلاغ ١٨ ، ولعله قصد إلى تكرار
الحدث حقيقة لا إلى تكرار الفعل لفظاً ، وهو ما سنأتي إلى بيانه لاحقاً ، كذلك ذكروا من
معانيها أيضاً الكثرة والمبالغة ، وهو ما ذكره الكرمانى (٥٠٥ هـ) في كتابه (البرهان في
توجيه متشابه القرآن) ١٩ .

وفي ضوء ما تقدم من دلالات ، وأمام حشد من الأفعال على صيغتي (أنجى)
و(نجى) ، توزعتا في (٢٦) ست وعشرين سورة في القرآن الكريم توزيعاً مقصوداً ، كان لا بد
من تتبع الدلالة في سياق النص القرآني وصولاً إلى ملامح النص ، وإلى القصد القرآني . فقد
ورد هذان الفعلان في القرآن الكريم (٥٧) سبعة وخمسين مرة ، (٣٣) ثلاثاً وثلاثين ؛
بصيغة (نجى) ، وأربعاً وعشرين (٢٤) بصيغة (أنجى) ، وربما وردا في السورة الواحدة ، في
أكثر من موضع ، بالصيغتين معاً ؛ (أنجى) و(نجى) ، وذلك في ؛ البقرة ، والأنعام ،
والأعراف ، ويونس ، وهود ، وطه ، ، والأنبياء ، والشعراء ، والعنكبوت . وأحياناً اقتضرت
السورة على صيغة واحدة في أكثر من موضع ، أو في موضع واحد ، ومثل ذلك في ؛
الأعراف ، ويوسف ، وإبراهيم ، والمؤمنون ، والنمل ، والقصاص ، ولقمان ، والصفوات ،
والزمر ، وفصلت ، والدخان ، والقمر ، والتحريم ، والصف ، والمعارج ويُنظر إحصاء ذلك
وبيانه في الهامش من هذا البحث ٢٠ .

لما تقدم حاول هذا البحث أن يرصد دلالات خاصة في الاستعمال القرآني . يستعرضها
في مباحث رتبت تبعاً للقصاص القرآني والحوار في كل بيئة ، ومع كل شخص ، إذ هو
الطريق الأمثل . فكان البحث على مبحثين اقتضتهما طبيعة النصوص ؛ الأول (سياق الدلالة

للفعلين في قصص بني إسرائيل) ، والآخر (سياق الدلالة للفعلين في قصص النبيين وحوارات خاصة) ، فعسى رحمة من ربنا تصيبنا فيما سعينا، والله ولي التوفيق .

المبحث الأول

سياق الدلالة للفعلين في قصص بني إسرائيل

استطلع المبحث الأول تنوع فعل النجاة بين التضعيف وزيادة الهمز ، في سياق الكلام مع بني إسرائيل ونبيهم موسى عليه السلام ، ومع زوج فرعون ، بحسب المقام ، وبحسب الحال المجتمعي الذي ظهر في أحوال السياق ، وعلى ما يأتي :

أولاً : (نَجَّى) و(أنجى) في سياق التذكير بنعمة النجاة .

تكرر ذكر قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم مرات عدة ، وتكرر معها ذكر النجاة ، وتنوعت صيغة النجاة ، ويبدو أن من أسباب هذا التنوع ؛ تنوع الأحوال والغايات ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

في سورة البقرة ، في الآيتين ؛ (٤٩) و (٥٠) ، في قوله تعالى ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)) .

الحق تبارك وتعالى في الآية (٤٧) يُذَكِّرُ بني إسرائيل بنعمه عليهم ، ((يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين)) / البقرة ، لِيُفَصِّلَ في الآية (٤٩) وما بعدها ؛ في نعمة النجاة من أمور متعددة ، منها : تخليصهم من آل فرعون ، بإرسال موسى عليه السلام ، وإخراجهم من مصر ، فيأتي بالنجاة بصيغة (نَجَّى) ، وهذه رحلة طويلة ، وأحداث متفرقة ، وافقها الفعل (نَجَّى) ، فوافقه القطع بين جزئي الفعل بالتضعيف ، لتقطع الأحوال ، فكأنَّ النجاة وقعت لأكثر من مرة ، ولم تقع لمرة واحدة فقط ، بدلالة (إذ) الظرف

الدال لما مضى من الزمان ؛

كانوا يسومونهم سوء العذاب ، فَجَّأَهُمْ .

وكانوا يُدَبِّحون أبناءهم ، فنَجَّاهم .

وكانوا يستحيون نساءهم ، فنَجَّاهم .

فتوافق الحال واللفظ في تقطيع المُقَطَّع . وظهرت دلالة السياق ، وظهر أثرها في تحديد اللفظ ، وكانت مناسبة النص في هذا السياق _ والله أعلم _ تأكيد النجاة . فالنص لما تكلم على معاناة اليهود ، وسنِّي العذاب مع آل فرعون في مصر قبل بعثة موسى عليه السلام ، جاء بالفعل المضعف دلالة على التناغم بين مضاعفة العذاب ومضاعفة الصيغة ، وتعدد مواطن النجاة ، فالتوافق هنا بين الفعل وبين الحال ؛ بسبب سرد الحال التعيسة التي عاشها بنو إسرائيل وتحملهم لذلك سنين طويلة ، كذلك أنت النجاة بصيغة التضعيف ، لتعدد مواطن السلامة ، فكانت متوافقة مع تضعيف العذاب والألم ، وتكرار الفعل ، وطول الزمن .

ويدل على التناغم بين دلالة التكرار ، والتتابع في الفعل (نجى) قوله تعالى في سورة الدخان/٣٠ : (ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين) ، إذ هو يقرر عبء العذاب في وقت طويل استشعروا فيه المهانة ، أمران استمرَّ سنين طويلة ، فجاء بالفعل المضعف للدلالة على استمرار المعاناة في كل الأمور النفسية القلبية التي يتردد فيها الإنسان بين قلقٍ وخوفٍ ومعاناة، وتستغرق زمناً .

ونخلص من هذا إلى أن في تفصيل ما وقع لبني إسرائيل ، ومعاتبتهم ، وتذكيرهم بما جرى لهم مع فرعون وقومه ، وإذلالهم على مَرِّ العصور والأدهر ، ثم انتشالهم من هذا الواقع المرير وتخليصهم منه ، توافقاً والفعل المضعف ، الذي يؤكد تعدد مواطن النجاة .

هذا عندما يتعرض النص للأحداث وتعدد مواطن النجاة ، أمّا عندما يتعرض للنجاة حال وقوعها ، وصفة الناجين ، في حال واحدة ، وموطن واحد ، متجاوزاً الأحداث ، فيعمد إلى الصيغة الأخرى . وهذا ما نجده في الموضع نفسه ، والآية نفسها ، في قضية الإغراق ، ومفاجأة فَرَّقَ البحر ، ومفاجأة النجاة غير المتوقعة ، في قوله تعالى : (وإذ فرَّقنا بكم البحر فأنجيناكم ...) البقرة/٥٠ . ففرَّقَ البحر ، ووقوع النجاة لبني إسرائيل ، وفرعون يطرد خلفهم ، كلها وقعت على وجه السرعة ، فجاء السياق بصيغة الفعل المزيد بالهمزة، وهذا تناغم بين سرعة الانتقال من حال إلى حال ، وتعدية الفعل من حال إلى حال ، إذ إن الوقت بين المطاردة والنجاة لم يكن طويلاً . فجاء بصيغة المفاجأة والسرعة ؛ للتجاوب مع الأحداث ، من الخوف المستعجل ، والنجاة المستعجلة ، من أمرين أحاطا بهم . فتفرَّد اللفظ لتفرّد الحال ؛ ولأن الأحداث انمازت بسرعة الإيقاع وسرعة وقوع الحدث ^{٢١} ، اقتضى السياق مزيد الهمزة لإظهار وقع الفعل وأثر التعدي فيه .

فالسباق في البقرة قدّم مشهدين ، أولهما ؛ تخليص بني إسرائيل من آل فرعون في وقائع مختلفة ، واستعمل معه (نجى) ، ثم انتقل إلى مشهد آخر هو ؛ نجاتهم من الغرق ، يشير إلى حادثة واحدة في وقت واحد ، واستعمل معه الفعل (أنجى) ، فصار التعدد مع المضعّف ، والتفرد مع مزيد الهمزة .

لكن السرد في سورة الأعراف مختلف ، فالسياق استعرض تفاصيل القصة في أكثر من خمسين آية ، لا تُعنى بالنجاة بقدر ما تُعنى بسيرة بني إسرائيل في مصر مع فرعون ، والعقوبات التي وقعت لآل فرعون :

* ذكر تهديد فرعون لهم ((قَالَ سَتُنْتَلُّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ /١٢٧))

* ثم معاينة آل فرعون : ((وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا ثَمَرَاتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ /١٣٠))

* ثم ((فَأَمْرُسُكُنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ /١٣٣)) ، وكان قوم موسى بينهم .

* ثم ((فَاتَّمَنَّا لَهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ /١٣٦)) ، فذكر إغراق آل فرعون انتقاماً منهم لنكثهم العهود ، ولم يتطرق إلى النجاة ، وسلّم بني إسرائيل فقال تعالى :

* ثم ((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ /١٣٨)) ، فبعد أن كتب الله لهم السلامة مما أحاط

بهم ، أُورث بنو إسرائيل الأرض بعد ذلك وعبروا إلى سيناء ، ولم يذكر النجاة .

* ثم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً يُشركونه مع الله في العبادة ، فارتد موسى عليه السلام إلى نفسه مستشعراً أنّ ما وقع لبني إسرائيل من عقوبات أصبح في طي النسيان ، ((قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ بَعْضُكُمْ لَهَا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ /١٤٠)) .

إذن هم في غفلة مما وقع لهم ، نسوا ، أو تناسوا ، وكأنه ما وقع ، فكان لا بد من الصدمة ، أو ما يشبه الصدمة ، فأعاد لهم الذاكرة لكل ما وقع في تلك السنين ، وبعد أن انتهى من التذكير ، فجأهم بالنجاة ، الحدث الأهم في حياتهم .

انتهت تلك الأحداث ، وبدأ الحدث الأهم في سياق الكلام ، فكان الزمن تلاشى وزال وصارت الأحداث كلها من الماضي ، في طي النسيان ، أمّا النجاة فكانت العنصر المهم في هذا الحوار ، بدأ حواراً جديداً يذكرهم بالنجاة ، ليس النجاة من الأحداث ، بل النجاة بذاتها ، وسرعة الاستجابة لها . ولعل الدلالة في (أنجيناكم) ، أي أوقعنا لكم النجاة التي ما كنتم تتوقعونها ، يتكلم هنا على قدرة الله في سرعة إيقاع النجاة ، ولعل هذا هو الذي اقتضى تغيير الصيغة من (نجى) إلى (أنجى) ، في قوله تعالى : ((وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

سُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ.../١٤١)) تأثراً بالسياق ؛ والغرض هنا بين ؛ فالسياق في البقرة ، في الآية (٤٩) سياق تذكير بالنعم المتعاقبة المتتابعة ، يذكرهم بنجاة بعد نجاة ، لكنه في سورة الأعراف سياق استدلال على نصره الله لعباده المستضعفين .

ونلمح كذلك فرقا واضحا بين النصين ، هو أن نص سورة البقرة سياقه ؛ (يُدَبِّحُونَ) ، ونص سورة الأعراف سياقه ؛ (يُقَتِّلُونَ) ، " فهو من تنويع الألفاظ المسمى بالتنوين " ، ونفهم من هذا أن الذبح فيه تكرار حركة وطول مكث ، وفي التقتيل سرعة ومفاجأة في الأداء ، وهذه المناسبة عززت الاختيار والمفاضلة بين الفعلين ، حتى إنه غير صيغة الأفعال فجاء بها مُسْتَقْبَلَةٌ مع أن فعل النجاة ماضٍ .

والأمر كذلك في كل موضع ذكّرهم فيه بالنجاة بعدما استقروا في البلاد وورثوها وحكموها بعد سنين من النجاة ، ثم ارتدوا ، فهو يذكرهم بقدرته في سرعة إيقاع النجاة ، فالسياق يستعمل صيغة (أنجى) لتجاوز الزمن والعبور من مرحلة إلى أخرى ، فكأن ما قبل النجاة عهدٌ ، وما بعدها عهدٌ جديدٌ ، فهو يتكلم على وجوب الالتزام والطاعة ؛ لأنه أنجاهم ، فتوافق هذا وفعل سرعة التنفيذ والمفاجأة لا فعل التلبث والتكرار الذي يتوافق والتعرض للأحداث المتوالية المتنوعة .

وفي السياق نفسه ، في السورة نفسها ؛ وبعد تجاوز الأحداث ، استعرض طغيان بني إسرائيل ، ونكرانهم النعم ، وبحثهم عن الغنى ، وعبادتهم العجل ، وتبديلهم قول الله ، وإنزال الرجز عليهم ، ونسيانهم ما ذكروا به ، والنجاة ، ثم وقوع العذاب على الذين ظلموا ، في قوله تعالى : ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَنَّا الَّذِينَ يَهْوَنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ /١٦٥)) ، جاء بصيغة المفاجأة والسرعة لتجاوز الأحداث ، وتجاوز الزمن إلى زمن الخطاب يريد تأكيد النجاة ، وإظهار قدرته في سرعة إيقاع النجاة ، وبيان صفة الناجين ، ومقصده العبرة والعظة ، والدعوة إلى عدم إنكار النعم ونسيانها ؛ لأن ذلك من مسببات الهلاك .

وكذلك السياق مع موسى عليه السلام ، في سورة إبراهيم يُذَكَّرُ قَوْمَهُ بِنِعْمَةِ النجاة ، ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ٥/٠٠٠)) ، فبعد استعراضه لاستقرار الدعوة وإنزال التوراة ، فزمن العبودية ولى ، وزمن الذل راح ، وهم الآن أسياد أنفسهم ، لكنهم نسوا الفضل ، فذكّرهم موسى بما وقع عليهم ، مؤكداً النجاة ، متجاوزاً الأحداث والزمن ، قال تعالى : ((وإذ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ

أبناءكم ويستحيون نساءكم...)) إبراهيم ٦/ ، فجاء بالفعل (أنجى) ، ليذكرهم بالحدث الأقوى وهو النجاة غير المتوقعة ، مظهراً قدرته في سرعة إيقاع النجاة . مع أنه استعمل الفعل (ويُدبِّحون) ، الدال على التتابع ، لأنه قصد التذكير بالنجاة ، عِظَةً للأقوام اللاحقة ، وهذا الحوار يشبه ما تقدم ذكره في سورة الأعراف ، في قوله تعالى : ((وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ.../١٤١)) ، في الاستدلال على نصرته الله لعباده المستضعفين ، وتذكيرهم باللحظة الحاسمة .

ثانياً : (نجى) و (أنجى) في سياق الخوف والترقب .

في سورة يونس ، في سرد قصة قوم موسى عليه السلام مع فرعون ، أحداث متتابعة هي المقصودة بالاعتبار في :

- قوله تعالى : ((فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ /٨٣)) .
- ثم قالوا بعد أن آمنوا وهم خائفون : ((فقلوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين /٨٥)) .
- ويستمر السياق في عرض المشهد وصولاً إلى خروجهم من مصر ، وقرب هلاك فرعون ((حتى إذا أدمركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين /٩٠)) .
- ثم الحوار معه وهو في وضع الخوف وهيبة المشهد وحال الغرق ؛ ((فاليوم نُنجيك بِدَبِّكَ لتكون لمن خلقت آية ، وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون)) يونس / ٩٢ . ارتبطت النجاة بالمشاهد المتقدمة كلها ، أي نُنجيك بعد كل ما تقدم من أفعال الظالمة والأحداث الواقعة ، فلم تكن النجاة مقصد الحوار والسياق ، وما اقتضى الأمر سرعة في إيقاعها ، ولا مفاجأة في وجودها ، بل اقتضى دوام النجاة ، مع تتابع السنين ، وتعاقب الأزمنة ، تظل ناجياً ببدنك إلى قيام الساعة . فاستلزم تتابع الزمن بالنجاة تتابعاً في الصيغة .

ومثل هذا التتابع في الأحداث ، وتكرار المواقف ، وتعدد المشاهد ، وضرورة توافقها والفعل المضغف (نجى) نجده في موضع آخر ، في سورة القصص ، مع موسى وفرعون ، إذ

سَرَدَ النص القرآني حال موسى عليه السلام في أثناء دخوله مصر وما حصل له ، بقوله تعالى : ((فأصبح في المدينة خائفاً يترقب . . .)) القصص/ ١٨ ، ثم يعقبها بقوله : ((فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين)) القصص/ ٢١ . فهذا الخوف وهذا الترقب اللذان عاشهما موسى طوال وجوده في مصر إلى خروجه منها ، شكلاً عبئاً نفسياً كبيراً عليه في زمن ليس بالقصير ، تكرر فيه الشعور بالخوف وتتابع الترقب ، فوافقه الفعل (نجى) ، صيغة التضعيف والتأكيد والتكرار ، ثم إن في السياق دعاء يقتضي صيغة التضعيف ، في حين أن الاستجابة للدعاء تقتضي صيغة المزيد ، وهو ما سيبين لاحقاً في هذا البحث .

وليس السياق كذلك في سورة الشعراء في حال الخوف المباشر من الأحداث ، في قوله تعالى : ((فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلاً إن معي ربي سيهدين ، فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب ففكان كل فريق كالأطود العظيم ، وأمرلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين)) الشعراء / ٦١-٦٥ . وهذا كان بعد عبورهم البحر في سياق تحققت فيه السرعة والمفاجأة ، فالنجاة هنا جاءت على الفور متزامنة مع الحدث ، والوقت واحد . فافتضى هذا صيغة الفعل المزيد بالهمزة للدلالة على أن النجاة أوقعت إيقاعاً ، وحصلت على الفور . وهذه الحقيقة تتوافق مع همزة التعدي والتجاوز ، للدلالة على القدرة والقوة والتمكن .

ومثل هذا ملحوظ في تغير الخطاب القرآني في سورة البقرة من قبل ، فالسياق لما تكلم على معاناة اليهود ، وسبب العذاب مع آل فرعون في مصر قبل بعثة موسى عليه السلام ، جاء بالفعل المضعف دلالة على التناغم بين مضاعفة العذاب ، وتضعيف الفعل ، والنجاة ، أما بعد انتقاله إلى مشهد آخر في الموضع نفسه ، والآية نفسها، في مفاجأة النجاة والإغراق ، فقد جاء بمزيد الهمزة ، وقد تقدم ٢٣ .

ثالثاً: (نجى وأنجى) في سياق الغم والكرب والعذاب .

في خطاب موسى عليه السلام في قوله تعالى : ((وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وقتناك فتونا فلبث سنين في أهل مدين ثم جئت على قدمي موسى)) طه/ ٤٠ . لم تكن النجاة من فعل مادي مباشر ، وحدث واقع ، بل نجاته كانت من الغم الذي لاحقه بعد القتل ، وهو أمر استغرق كثيراً من الزمن في التفكير والترقب ، وتكرار الخوف . وقد خلا هذا المشهد من مظاهر المفاجأة ، فكان أن نجاه الله تعالى من تلك الشدة التي عصفت بفكره ، من تراكم القلق واستمراره وتكراره ،

وتخوفه من أن يبطش به جند فرعون ، فجاءت النجاة بعد زمن ليس باليسير ، فتوافق ذلك والتضعيف في الفعل .

وفي السياق مع موسى وهارون وقومهما ، في قوله تعالى : ((وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) الصافات/١١٥ . ورد الفعل (نَجَّى) ، إذ النجاة وقعت بعد كرب عظيم أصابهم في زمن طويل ، تعددت فيه مظاهر القساوة ، واشتد فيه الكرب ، فكان لا بد من التوافق بين اللفظ والمعنى ، ولَزِمَ حينئذ الفعل المضَعَّف (نَجَّى) .

رابعاً : (نَجَّى وأنجى) في سياق دعاء امرأة فرعون .

في قوله تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) التحريم/١١ . بعد أن قاست امرأة فرعون من فرعون طويلاً ، من ظلمه وطغيانه ؛ صبرت ، وأخفت إيمانها زمناً ، ثم طلبت الخلاص لما بعد الموت ، وأن يكون بيتها في الجنة تستقر فيه ، وتطمئن ، بعد أن أضاعت الطمأنينة في بيت فرعون .

لقد طلبت النجاة في المستقبل ؛ لأنها ظنّت صعوبة تحققها على الفور في الدنيا ، وهذا منتهى التراخي في الطلب ، فوافقه فعل التراخي (نَجَّي) ، الدال على الطلب المؤكّد ، وفيه الإلحاح في طلب النجاة ، ولأنها لا تملك أن تطلب النجاة على الفور بصيغة (أنجى) إذ سياق الآيات عموماً يحدد صيغة (أنجى) مع المفاجأة والسرعة والقدرة والتمكن ، وصيغة (نَجَّى) مع التراخي وطول الأمد ، والإلحاح بالطلب . وما ورد الدعاء في القرآن الكريم بصيغة المزيد (أنجى) ، إنما ورد بصيغة المضعف ؛ لترد الاستجابة بمزيد الهمزة دلالة على التمكن والإجابة .

المبحث الثاني

سياق الدلالة للفعلين في قصص النبيين وحوارات خاصة

في المبحث الثاني نَنعَرِّضُ للتنوع في قصص أخر ، وحوارات أخر ، إن شاء الله وأذن . لقد تكرر استعمال الفعلين مع أكثر الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم ، وذكر نجاتهم ، وتنوع السرد معهم بين الصيغتين (نَجَّى) و (أنجى) وسنعرض لكل في موضعه وعلى النحو الآتي :

أولاً : نجى وأنجى في سياق قصة نوح عليه السلام .

في قصة نوح عليه السلام الواردة في سورة يونس بدأ الحوار بقوله تعالى : ((واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم...)) / ٧١ .

ثم يقول : ((فإن توكلتكم فما سألنكم من أجر إن أجرى إلا على الله...)) / ٧٢ ، هذا كلام نوح عليه السلام بعد أن أيقن عدم استجابة قومه .

فكان الجواب : ((فكذبوه فجبناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا...)) / ٧٣)) ، والملاحظ على النجاة أنها جاءت بصيغة التأكيد لا بصيغة الإيقاع ، أي حققنا له النجاة من أمور كثيرة ، من الرجم ، ومن التهديد هم وشركائهم ؛ فالنجاة لم تكن من الغرق وحده ، فقد احس بمكايدهم فقال : (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) ، على أن تكذيب قوم نوح أخذ وقتاً طويلاً ، وصبر على الأذى زمناً طويلاً ، عرض له السياق القرآني في سورة نوح في أربع وعشرين آية : ((قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً...)) / ٤ - ٢٨ ، حتى إذا استيأس من إيمانهم قال : ((وقال رب لا تدمر على الأرض من الكافرين دياراً)) / ٢ ، كذلك صرح بطول الزمن في سياق سورة (المؤمنون) ، قال تعالى : ((ولقد أمرسكنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً...)) / ٢٣ - ٢٨ ، ثم نجاه تعالى من القوم الظالمين وأغرقهم ، فكانت النجاة من التكذيب ، ومن كل المكاييد والظلم على طول مكثه فيهم ، وكانت الصيغة صيغة التضعيف ، إذ ليس للمفاجأة هنا نصيب ، فالسياق جاء لإثبات وقوع النجاة لا غير ، وأن الناجين أصبحوا خلائف . ونوح عليه السلام في هذا السياق لم يطلب النجاة ، ولو قال : (نجني) ؛ لكان الجواب (فأنجيناه) .

ولما لم تكن نجاة نوح هي الأهم في السياق ، فما من ضرورة تقتضي مجيء مزيد الهمزة ، بل إن هلاك قومه الذين كذبوا بآيات الله كان هو المهم في السياق فجاءت صيغة الإغراق بمزيد الهمزة ؛ للدلالة على أن الإغراق وقع بقدرة عجيبة مستعجلة فجأت القوم الكافرين الذين ما كانوا يصدقون : ((قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من

الصادقين، قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين)) هود/٣٢ - ٣٣. فجاءت مفاجأة الإغراق (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور)) هود/٤٠ .

وأما في سورة الشعراء فيلاحظ في سياق الكلام مع نوح عليه السلام ، أن كل دعاء في سياق طلب النجاة ورد بالفعل (نجى) المضعف ؛ لأن الدعاء لا يأتي إلا بعد عسر ومشقة ، (نوح) عليه السلام لما يئس من قومه ، واستيأسوا هم منه ، قالوا له : ((لَنْ لَمْ تُثَبِّتْهُ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)) الشعراء/١١٦، فما كان منه إلا أن قال : ((فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) الشعراء/١١٨ ، وقد تقدم الدعاء بالنجاة بمثل ذلك في دعاء امرأة فرعون ، ودعاء موسى عليه السلام ، ودعاء قومه ، في المبحث الأول من هذا البحث ٢٤٠

و يلاحظ أيضاً أن الاستجابة بعد الطلب تكون بصيغة الفعل المتعدي بالهمزة (أنجى) للدلالة على الإجابة الفورية ، وإظهار القدرة والتمكن ، وفي هذا الحوار يتناغم الفعل المزيد بالهمزة مع غرض إظهار السلامة بالنجاة . لذا قال تعالى بعد دعاء نوح عليه السلام : ((فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ)) الشعراء/١١٩ ، فوَقَّعت الاستجابة بصيغة (أنجى) ،

وكذا في قوله تعالى : (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ١٠٠٠) العنكبوت ١٤-١٥ ، نلاحظ أن عنصر المفاجأة والسرعة في الإجابة حاضر أيضاً ، بدلالة السرعة في (أخذهم الطوفان) وكان إظهار النجاة مقصوداً .

أما إذا كان السياق سياق إخبار عن وقوع الدعاء والاستجابة في الماضي ، فالفعل (نجى) لا (أنجى) ؛ لأنه ما اقتضى سرعة وقوع الفعل ، بل اقتضى تأكيد وقوع الفعل فيما مضى ، وتأكيد ما مضى من أحداث يكون بصيغة التضعيف ، قال تعالى في خبر نوح عليه السلام : ((وَنوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكبر العظيم)) الأنبياء/٧٦ ، فالنداء والدعاء فيما مضى (من قبل) ، والاستجابة في الماضي ، فبدا الأمثل للسياق (نجى) ، لا (أنجى) . ووقع مثل هذا مع (ذا النون) عليه السلام ، في قوله تعالى : ((فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ)) الأنبياء/٨٨ ، فجاء بالفعل (نُجِي) وهو من (أنجى) .

ثانياً : نجى وأنجى في سياق قصة لوط عليه السلام .

الأحداث في قصة لوط عليه السلام تُدلل على أن استعمال الفعل المضعف (نجى) كان مع طول الأمد وتعاقب الأحداث ، فقد أخبر تعالى بأحداثٍ مرّت فقال : ((ولوطاً أتيناها حكماً

وعلمًا ونَجِيْنَاهُ مِنَ الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْحَبَائِثَ . . .)) الأنبياء / ٧٤ ، ولم يتطرق إلى وجود الخطر ، ومفاجأة النجاة .

وفي (سورة الشعراء)، ذكر تعالى أحداثاً تتابعت في صراع لوط مع قومه ، ثم طلب هود النجاة من أفعالهم خوفاً من العاقبة ، إذ العذاب لم يقع ، والحوار مستمر ، والعصيان مستمر ، ولوط صابر : ((قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ، قَالَ إِنِّي لَعَمْرِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ، رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ)) / ١٦٧-١٦٩ ، ولأنه دعا ، طالباً النجاة ، فالأمر يقتضي صيغة التضعيف والإلحاح والتكرار .

ولمَّا وصل بهم الطغيان منتهاه بمحاولة الاعتداء على الرسل ، كما قصَّ علينا القرآن في (سورة هود) وغيرها : ((ولمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ، وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونِ فِي ضَيْفِي . . .)) هود / ٧٧-٨٣ ، فلما استوفى الطغيان حدوده أتى الخبر : ((فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ، إِن فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِّعُلَّانِ . . .)) هود / ١٧٠-١٧٤ . في هذا السياق لم يقع العذاب فيدعو لوط ربه للنجاة ، فيأتيه الفرج ، ولم يكن غرض السياق بيان سرعة الاستجابة ، وإنما هو إخبار بوقوع النجاة ، فوافق ذلك مجيء الفعل المضعّف لا مزيد الهمزة ، الذي يلزم الإجابة الفورية ، فالنجاة هنا لم تكن الحدث الأهم ، بل إهلاك الكافرين كان هو المهم فجاء بصيغة مزيد الهمزة للدلالة على سرعة الإهلاك ، قال تعالى : ((وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) . وهذه تُشَبِّهُ أَخْتَهَا فِي سُورَةِ يُونسَ مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ((فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ . . . وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا . . .)) / ٧٣ ، وقد تقدمت .

ونستمر مع لوط عليه السلام فنجد في (سورة العنكبوت) سياق الكلام يتحدث عن النجاة من أمر لم يقع بعد ، قال تعالى : ((ولمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنِ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ، قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)) / ٣١-٣٢ ، فجاء أولاً بالفعل ؛ (مُهْلِكُوا) من (أَهْلَكَ) ، المزيد بالهمزة للدلالة على أنّ وقت إهلاكهم قد حان فهو أمرٌ قد حُسِمَ ، وأن هلاكهم محتوم مؤكد . وهو الغرض الأهم في السياق؛ لأن الرسل جاءت تبشر بإهلاكهم . أما النجاة فجاءت بصيغة التضعيف ؛ للدلالة على تأكيد السلامة للوط وأهله ، وصيغة المضعّف هي الأنسب لذلك .

و" لقد جاءت الصيغة (نَجَّى) بالتشديد لاكتنافها توكيداً ؛ فقد سبقتها لام التوكيد، واتصلت بها نون التوكيد الثقيلة، فكان التعبير طمأنةً لإبراهيم عليه السلام ، الذي خاف على لوط عندما أخبرته الملائكة أنهم مرسلون لإهلاك قرية قوم لوط ..فجاء التعبير مؤكداً لهذا"^{٢٥}.

فالنجاة هنا باعتبار ما يقع وفيه تأكيد قيامهم بإنقاذ لوط وأهله ، بدليل أنهم جاؤوا لوطاً بعد ذلك وأخبروه : أنهم مُنَجُّوه ، من (أنجى) ، وأنهم سيوقعون الهلاك على قومه :

((... وقالوا لا تخف ولا تخزن إنا مُجْرِكُوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين ، إنا مُنْزِلُون على أهل هذه القرية رجلاً من السماء بما كانوا يفسقون)) العنكبوت / ٣٣ - ٣٤ ، فجاء الفعل المضعف في خِصَم سرد الأحداث لتأكيد النجاة ، في حين جاء فعل الإهلاك من مزيد الهمزة (إنا مُنْزِلُون ...) . ومثله في سورة القمر كان سياق الكلام إخباراً عن واقعة وقعت في الماضي ((كَذَّبَتْ قوم لوطٍ بالندم ، إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر)) القمر / ٣٣ - ٣٤ . فوافق ذلك الفعل (نجى) ؛ لتأكيد وقوع النجاة ، في حين أتى بمزيد الهمزة (أرسلنا) للدلالة على تحقق وقوع العذاب وإثبات القدرة على إنزاله بهم ، إذ هو المقصود بالسياق .

أمّا في سورة الأعراف ، فقد تغير سياق الكلام ، لذلك تغيرت معه الصيغة ، قال تعالى : ((وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون)) الأعراف / ٨٢ ، إذ يظهر السياق مرحلة العنف التي لجأ إليها قوم لوط (أخرجوهم) بصيغة الأمر ، وهو يقتضي الفور على وجه السرعة ، فجاء الجواب أيضاً دالاً على سرعة الإجابة ((فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطراً)) الأعراف / ٨٣ - ٨٤ ، بصيغة الفعل (أنجى) بدلاً من (نجى) ، وجاء بالفعل (أمطرنا) أيضاً ؛ للدلالة على سرعة إنزال العقاب ، وتقابله مع سرعة النجاة .

كذلك لما تغير سياق الكلام في سورة النمل إلى العنف والإخراج في قوله تعالى : ((فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون ، فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)) النمل / ٥٦ - ٥٨ ، جاء الرد بأسلوب القصر ، وعنصر المفاجأة ، وكانت السرعة في الإجابة حاضرة في صيغة (أنجى) أيضاً ، في مقابل سرعة الهجوم (أخرجوا) ، وسرعة وقوع العذاب (أمطرنا) .

ثالثاً : نجى وأنجى في سياق قصة إبراهيم عليه السلام .

في خبر إبراهيم عليه السلام مع قومه في قوله تعالى : ((فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرِّقوه فأنجاه الله من النار)) العنكبوت / ٢٤ ، كانت المفاجأة حاضرة ، والسرعة مقصودة، إذ هم

مستعجلون يريدون القضاء عليه بأية وسيلة ، بالقتل أو الإحراق ؛ فأجاب بمزيد الهمزة مستعجلاً كما استعجلوا في قرارهم ، مشفوعاً بفاء المفاجأة ، وكأنه تعالى قصد إلى بيان قدرته على إنقاذه وتخليصه بالسرعة التي لا تُغالب .

ولعلك تلاحظ في موضع آخر في سورة الأنبياء ؛ أن مسار القصة ورد بطريقة مغايرة ((قالوا حرِّقُوهُ وانصُرُوا آهْتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٧٠٠ ونَجِيَّاهُ ولوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)) الأنبياء ٦٨-٧١ ، فجاء بالفعل المضعف (نجى) ؛ لأن السياق هنا مغاير ، توافرت هنا المهلة ، وتوافر الاختيار (إن كنتم فاعلين) ، وانتفى الخيار الثاني الذي هو القتل . وأخذ الزمن مساحة من الزمن يجمعون فيها الحطب ، ويهيئون لإشعال النار ، وتكلم السياق على قدرة الله تعالى في تغيير خواص الأشياء ، مع استمرار النار بالاشتعال : ((قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم...)) ، مشيراً إلى إبطال كيدهم ((وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين)) الأنبياء ٧٠ ، ثم تكلم على النجاة فكأنها ليست من النار وحدها ، بل هي من النار ومن غيرها ، فجاء بالفعل المضعف لأن السياق ما كان سياق سرعة فقد لبث إبراهيم عليه السلام في النار حتى انطفأت ، بل هو سياق تعدد وتنوع لأنواع من المكاييد تعرض لها إبراهيم عليه السلام ونجّاه الله منها ، أضف إلى ذلك أن سياق سورة العنكبوت : (قالوا اقتلوه أو حرِّقوه) ، فكانوا في أكثر من خيار ، ما عندهم متسع من الوقت ، يبغون أي وسيلة للهلاك ، وسيقاق سورة الأنبياء (قالوا حرِّقوه... إن كنتم فاعلين) لم يحزموا أمرهم في إهلاكه بعد ، فلما استعجلوا جاء بفعل العجلة ، ولما تمهلوا جاء بالفعل الدال على التمهّل .

رابعاً : نجى وأنجى في سياق قصة شعيب عليه السلام .

ونتوقف مع شعيب عليه السلام فلا نجد غير صيغة (نجى) ؛ لأن السياق كان يتكلم على الخلاص من ملة الكفر ، والدخول في ملة الإيمان ، والحوار هنا أخذ وقتاً طويلاً ومساحة من الزمن في أربع عشرة آية ، وكالاتي :

• بدأ بقوله تعالى : ((قال الملأ الذين استكبروا من قومه لئن خِرَجْنَاكَ يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو

لنعودنَّ في مِلَّتِنَا قال أولئك كُنَّا كَارِهِين . قد اقترنا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا

الله منها ٨٨-٨٩ . وفي السياق هنا تأكيد وقوع النجاة من ملة الكفر

وعواقبها ، فلا مفاجأة ، ولا استعجال

• وتتابع الأحداث من الإنكار ، والمحاسبة ، والضراء والبأساء ؛ ففي أمر الخروج استثناء ، واستدراك ، وأخذ ، عطاء ، وقبول ، ورد ، وحوار ، ثم التهديد ، إلى قوله تعالى : ((أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، ... تلك القرى نقص عليك من أنبأها ...)) الأعراف/ ٩٩- ١٠١ .

السياق مهتم بالإيمان والكفر والإنكار أكثر من اهتمامه بالنجاة ، وهذا لا يقتضي صيغة الإسراع ، بل صيغة تتابع الأحداث ؛ لأنه يدخل في باب الإخبار والموعظة .

وفي سورة (هود) يدور حوار مديد بين النبي شعيب وقومه :

- (وإلى مدين أحاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيل والميزان ...)) / ٨٤ .
- ((يا قوم أوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ...)) / ٨٥ .
- ((قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ...)) / ٨٧ .
- ((قال يا قوم أرايتم إن كُنتُ على بينة من ربي ومررتُ فني منه مرزقاً حسناً ...)) / ٨٨ .
- ((ويا قوم لا يجرمكم شقائي أن يصيبكم ...)) / ٨٩ .
- ((قالوا يا شعيب ما تفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك ...)) / ٩١ .
- ثم يختم هذا الحوار بقوله : ((ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزبه ومن هو كاذب وامر بقوا إني معكم مريب)) / ٩٣ .

وبعد هذا الحوار يأتيك في السياق ما آل إليه الحال ، قال تعالى : ((ولما جاء أمرنا نجينا

شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثين)) هود ٩٣- ٩٤ .

والذي يبدو من السياق أنّ الخلاص وقع ، قبل الصيحة ؛ إذ لم يرد فيه (أنجينا) ، ولا (فأنجينا) ولا (إذ أنجينا) ؛ لنقول : إن مفاجأة النجاة كانت من مفاجأة وقوع العقوبة ، بل إن أمر العقاب كان مرتقباً ليس فيه عنصر المفاجأة . وتتابع الأحداث في الحوار يقتضي صيغة التضعيف ، لأن أمر النجاة جاء عَرَضاً ؛ ولأنه متحقق بصيغة التثبیت (فَعَلَ) والتأكيد في السياق إنما هو على الجدل ، والعناد ، والشقاق ، وارتقاب العذاب ، ووقوع الصيحة على الذين ظلموا .

ولا ننسى وجود الأداة (لَمَّا) ، فهي عند سيبويه ؛ للأمر قد وقع لوقوع غيره وتكون بمنزلة (لو) ، فهي للابتداء والجواب^{٢٦} . يتعلق أولها بوقوع ما بعده ، وقد تفيد الظرفية الحينية ، كذلك هي تعمل عمل (لم) في أنها تقلب المعنى إلى الماضي^{٢٧} ، وتفيد وجود الشيء لوجود آخر ، والثاني منهما مرتب على الأول^{٢٨} .

وذهب الشوكاني رحمه الله في أن (لَمَّا) في قوله تعالى : ((وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيًّا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ مناَّ ونَجِيًّا هَمَّ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ)) هود/ ٥٨ ، ، تفيد وقوع الرحمة والنجاة قبل وقوع العذاب الغليظ بوقت قريب محدود سبقت النجاة فيه العذاب بوقت يعاين فيه هود عليه السلام ومن معه هذا العذاب فيتلمسون الرحمة التي هم فيها ، وهو يرى : أن النجاة وقعت عند حلول العذاب ، أي لَمَّا جاء عذابنا أي أمرنا^{٢٩} .

وقال ابن عاشور : الأمر أُطْلِقَ إثر الأمر ، وهو ما أمر الله به ، أي لَمَّا اقترب مجيء أمرنا وهو العذاب أي الريح ..."^{٣٠} .

ويبدو - والله تعالى أعلم - أن المراد بالأمر هو الرحمة وليس العذاب ، أي لَمَّا جاء أمرنا بالرحمة حصلت النجاة ثم أهلك الآخرون . فانتهى عنصر المفاجأة والسرعة ؛ لأنَّ النجاة ترتبت على الرحمة وليس العذاب ؛ ولأن السياق لم يتكلم على الهلاك صراحة بل ضمناً ، فيكون المعنى : رحمتناهم فنَجَّيناهم ، وليس لَمَّا نَجَّيناهم رحمتناهم ، فالشرط مقدم على الجواب ، يتوقف على وقوعه وقوع الجواب ، فأفادت هذه الأداة وقوع الشرط حقيقة لا مجازاً . والرأي الفصل عند النجاة هو أنها تفيد امتداد الزمن الحالي امتداداً يشملهما معاً^{٣١} .

خامساً : نجى وأنجى في سياق قصة هود عليه السلام .

في سورة الأعراف نجد أن الخطاب مباشر إلى قوم النبي هود عليه السلام يكلمهم في حوار ساخن عن الوحدانية ، وعبادة الله الواحد ، قال تعالى : ((والى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ٥٠٠) الأعراف / ٦٥ - ٧٠ . وبعد أن استيأس منهم قال : ((أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما نزل الله بها من سلطان، فاتظروا إني معكم من المنتظرين . فأنجيناهم والذين معه (...)) الأعراف ٧١ - ٧٢ .

فالصيغة صيغة المفاجأة ، وسرعة الاستجابة بعد التوعد والتهديد والانتظار الذي واقعه النجاة ، التي أظهرها السياق وغيبَ الهلاك ، فتحقق القصد مع مزيد الهمزة .
ومع انتقال السياق من تأكيد الحدث والعقوبة ، وأنَّ النجاة واقعةٌ محسومة ، إلى السرد القصصي الذي يراد منه العظة والاعتبار ، يغير النص القرآني صيغة النجاة بما يتوافق والسياق الجديد ، هكذا عندما تكون العقوبة غير مرتقبة ، والنجاة غير مرتقبة ، وغير معلومة ؛ تزول المفاجأة ، ويقتضي السياق حينئذ الفعل المضعف ؛ للدلالة على التأكيد والتوثيق ، ، ونجد ذلك في سورة هود أيضاً ، قال تعالى :

- ((تلك من أنباء الغيب نُوحِيها إليك...)) ٤٩/ ، وبدأ يستعرض فذكر ؛
- ((وإلى عادِ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره...)) ٥٠/
- ((ويا قوم استغفروا ربكم...)) ٥٢/
- ((قلوا يا هود ما جئنا بينة وما نحن بتاركي آلهتنا...)) ٥٣/
- ((فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم...)) ٥٧/ ،
- هكذا يستعرض السياق الأحداث مع نبي الله هود عليه السلام في قومه ، ثم : ((ولما جاء أمرنا بنجينا هوداً والذين آمنوا معه ونجيناهم من عذاب غليظ)) هود / ٥٨ . فجاء بأداة الشرط (لما) ، والأمر هنا مشبهة لما تقدم في قصة شعيب عليه السلام قبل قليل من أن وجود (لما) يقتضي صيغة التضعيف .

سادسا : نجى وأنجى في سياق قصة صالح عليه السلام .

في قصة صالح عليه السلام في سورة النمل / ٥١ - ٥٣ . جاء بصيغة السرعة ؛ لأن العقوبة على سرعة وقوعها نبهت على سرعة وقوع النجاة . والحديث مباشر مع الفعل (انظر) كيف كان عاقبة أمرهم (من الدمار ، الذي لم يشغلنا أو يؤخرنا عن إنقاذ الذين آمنوا فلقد أنجيناهم مسرعى ؛ لأن النجاة كانت قبل الدمار .

ثم يتحول السياق مع نبي الله صالح ، في سورة (هود) إلى صيغة التلبث في سياق حوارٍ هادئ يرد منه السرد القصصي :

- ((وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره...)) / ٦١ .
- ((قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا...)) / ٦٢ .
- ((ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية...)) / ٦٤ ، إلى قوله : ((فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي ذَمْرِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مُكَذِّبٍ)) / ٦٥ . فحدد موعد العقوبة ، وأزال عنصر المفاجأة .
- ((فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا...)) هود / ٦٦ . وهنا استعرض السياق الأحداث من غير أن يؤكد الهلاك ، فجاء بالفعل المضعف (نجينا) مسبقاً بأداة الشرط (لما) ، أي نجيناهم من العقاب لما جاء أمرنا .

ومثل ذلك وقع عندما قصَّ على المشركين خبراً مضى على مسامع القوم ، عن خبر عادٍ وثمود ، كما هو الحال في سورة (فصلت) قال تعالى :

- ((فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود)) / ١٣ ،
- ثم : ((فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق...)) / ١٥ ،
- ((فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً...)) / ١٦ ، وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا أعمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون / ١٧ ، ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون / ١٨)) .

نلاحظ أنه سبحانه استعمل صيغة التضعيف (نجى) بسبب زوال عنصر المفاجأة ، إذ السياق حكاية عما جرى للأقوام السابقين ، وتأكيد إيقاع النجاة للمؤمنين .

سابعاً : نجى و أنجى في سياق حوارات عامة .

في سورة الأنعام تتغير طبيعة الحوار ؛ الحوار مع المضطرين ، الخائفين ، في دعائهم بصيغة الفعل المستقبل ، الدال على استمرار زمن الحوار (تدعون) في قوله تعالى : ((قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعؤون تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لَكُنْون من الشاكرين ٦٣- ٦٤ ، أي ؛ قلقين خائفين مستمرين بالدعاء ، متضرعين في ظلمات البر والبحر ؛ عبّر بالفعل المضعف (يُنَجِّي) مظهرًا شدة الموقف ، وامتناع النجاة على غير الله ، وعجز كل ما عداه عن نصرتهم ، فالنجاة من هذا الموقف العصيب أمرٌ جلل

يصعب تحقيقه ، فهو تعالى ينكر عليهم توقع النجاة من غيره في سياق الاستفهام الإنكاري ، ولو لم يكن استفهاماً استتكارياً لقال : (من يُنجيكم) .

وفي الجزء الثاني من السياق في الآية نفسها ، لما ابتدأ بمشهد التفرد للمستجيب الأوحد لا إله إلا هو الواحد الأحد المسيطر الجبار القادر المتمكن الذي بيده النجاة ، ولأنهم ما كانوا يتوقعون النجاة من غيره ولا منه ؛ لصعوبة الموقف ؛ جاؤوا بأداة الشرط (إن) الدالة على تقليل حدوث فعل الشرط ، ولهذا بالغوا في جواب (لن) عن طريق التوكيد باللام ونون التوكيد الثقيلة (لنكونن) رغبة في تقوية الحدث في فعل الشرط الذي تتوقف على حدوثه حياتهم ^{٣٢} .

وقد اشترطوا ، والشرط يقتضي سرعة الإجابة ، ويقتضي طلب تحقق المطلوب على الفور : (لن أنجانا من هذه) ، لا طلب تثبيت وقوع الفعل ، أتى بالصيغة (أنجى) للدلالة على طلب السرعة في الإجابة ، وبيان أنهم رغبوا في إجابة الدعاء بأسرع ما يمكن ، لأنهم في ضيق . وقد بيّننا هذا من قبل في الحديث عن طبيعة الاستجابة للدعاء . ^{٣٣}

ومثلها في سورة يونس ، قال تعالى : ((هو الذي يُسِيرُكُم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرْحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا مَرِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فلما أنجاهم . . .)) يونس ٢٢ - ٢٣ ، ويؤكد هذا السياق أنهم في أزمة حقيقية الشرط فيها سرعة الاستجابة للدعاء ، وشرط الاستجابة فيها سرعة النجاة ، فتوافق هذا وفعل السرعة (أنجى) ، لأنهم اضطروا إلى ذلك من باب البحث عن المصلحة وهي النجاة بسرعة طلباً للخلاص من الغرق ، لا من باب العبودية ^{٣٤} .

ويعاد المشهد مشروطاً بأداة الشرط المستقبلية (إذا) في ثلاث سور ، لكن مع الفعل المضَعَّف (نَجَّى) المسبوق بأداة الشرط (لَمَّا) ، لضرورة سياقية اقتضتها دلالة الحوار ، وهذا من غرائب السياق القرآني ، وهي على النحو الآتي :

الأول : في سورة (الإسراء) إذ يعود إلى الحوار المتأني ، حوار التذكير ، حوار التوجيه للمستقبل (وَإِذَا مَسَّكُمُ) ، حوار تذكير الإنسان بِعِيَّه وجوده النعمة ، فالنجاة لم تأت بعد دعائهم ، وجاءت إشارة إلى أحوال الكافرين الذين يلجأون لغير الله ، ((رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّه كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا / ٦٦ ، وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي

البحر ضلّ من تدعون إلا إياه، فلما نجّاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً/٦٧)) أي حقق لكم النجاة، وليس أوقع لكم النجاة، فالآية جاءت في سياق الرحمة، والخبر فيها لا يقتضي صيغة الإسراع. بل يقتضي التراخي^{٣٥}، والتنثيت والتأكيد. ولا يتفق مع هذا السياق (أنجاكم) لأمر منها:

١ - وجود الأداة (لما) وتقدم الكلام فيه.

٢ - الفعل المضعّف يفيد تأكيد وقوع النجاة في الماضي، أما مزيد الهمزة فيفيد التمكن وسرعة إيقاع الفعل.

٣ - الفعل المضعّف يفيد تكرار وقوع الفعل، وفي ذلك دلالة على وقوع النجاة في كل زمان فيما يشبه هذه الحالات، أي في كل مرة يمسكم الضّرّ تلجأون إلى طرق متنوعة للنجاة فإذا أخفقتم، تلجأون إلى الله، فلما نجّاكم أعرضتم وكان الإنسان كفوراً، فجاء هذا السياق ليبيّن حقيقة الإنسان التي لا تتغير، في حين أنه لو قال: (فلما أنجاكم) لتحدد السياق بالحال المروية وقصرت عليها لا غير.

الثاني: في سورة (العنكبوت) في نقاش هادئ يحاور فيه سبحانه الإنسان: ((وما

هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدّار الآخرة هي المحيوان لو كانوا يعلمون/٦٤، فإذا مرّكبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يُشركون/٦٥))، ودواعي استعمال صيغة (نجى) هنا أوضح، فالسياق توصيف لحال الناس عموماً، وهذا ليس مجال الإسراع أيضاً، بل مجال تعدد المواطن والأحوال، وتكرار النجاة بتكرار الحدث، والأمر مُشبهه لسابقه.

الثالث: في سورة لقمان الأمر كذلك، فهو في سياق التوجيه والإرشاد، قال تعالى:

((لم تر أنّ الفلك تجري في البحر بنعمتِ الله ليُرِيكُمْ من آياته إن في ذلك لآياتٍ لكل صَبْرٍ شكور/٣١، وإذا غشيهم موج كظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البر فمنهم مقتصدٌ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور/٣٢)) فجاء بصيغة التكرار كسابقاتها. إذن السياق في الآيات الثلاث سياق استعراض وتذكير لا سياق دعاء بالخلّاص والنجاة، ثم هو أيضاً سياق تحذير وتنبيه للإنسان على أن يحذر عواقب الكفر والجحود بعد النجاة؛ فأمر النجاة واقع في كل زمان ومكان، والإنسان مستمر في كفره، وإشراكه، وجحوده:

• (فلما نجّاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً/الإسراء/٦٧)

- (فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يُشركون) العنكبوت/٦٥
- (فلما نجّاهم إلى البر فمهم مقتصدٌ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختارٌ كفور) لقمان/٣٢))

وكلما كان السياق دالاً على التراخي في الزمن تحتّم مجيء الفعل المضعف (نجّى) وعلى سبيل المثال أنظر إلى أثر (ثم) في الآيات الآتية في سورة يونس ، وفي اختيار الصيغة بعد حوارٍ متشعب ، وسردٍ متنوع في أربع آيات :

- ((ولو شاء ربك لآمن من في الأَرْضِ كلهم جميعاً ...)) /٩٩ ،
 - ((وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون)) /١٠٠ ،
 - ((... فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلّوا من قبلهم ...)) /١٠٢ ،
 - ((ثم نُجِّيْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ...)) /١٠٣ يونس ١٠٣ .
- ومثل ذلك في سورة مريم أيضا : ((وَإِنْ مِنْكُمْ إِذَا وَآمَرِدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا /٧١ ، ثم نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جثيًا /٧٢)) .

لكن صدق الوعد يقتضي سرعة الإجابة وحصول النجاة من الله تعالى حتى مع وجود (ثم) ، قال تعالى : ((وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ...)) /٧ ، وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين /٨ ، ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين /٩)) سورة الأنبياء . فوعد الله حق ، ووقعه حق ، ولا تسويف في إيقاعه ، ولا تأخير في تحققه ، فاقتضى الأمر إذاً صيغة دالة على سرعة الإنجاز ، وسرعة الإنجاء ، وسرعة الهلاك . فانظر إلى حكمة الله تعالى في تنويع الصيغ تبعاً لتنوع السياق .

وأخيراً نتوقف عند (لولا) في قوله تعالى : ((فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقيةً ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم ، وأتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين)) هود /١١٦ . نجد صيغة (أنجى) هي المَعْوَل عليها ، وذلك لأنّ جواب (لولا) محذوف تقديره (مهلكوا) . أي لهلكت القرون جميعاً إلا قليلاً ممن أنجينا منهم كانوا سيّقون . وحقيقة الأمر ؛ إن أكثر القرون قبلنا بقوا لم يهلكوا ، وعليه يكون (أنجينا) متعلقاً بافتراض الهلاك ، يعني لو أهلكناهم لأنجينا على وجه السرعة ، القليل ممن ينهون عن الفساد في الأرض ؛ لأنّ (لولا) مركبة من : (لو) و (لا) عند النحاة ، وهي تدل على التحضيض أو على التوبيخ ، وتدل على امتناع الشيء لوجود غيره كما يقول النحاة " ٣٦ ،

"وتدخل على جملتين ؛ اسمية فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى " ٣٧ .
يقول سيوييه : " لوما ولولا فهما لايتداء وجواب ، فالأول سبب ما وقع
وما لم يقع " ٣٨ . وحينها تتحقق لهذه الفئة الناجية صفة النجاة الفورية ، أي ممن تحققت
لهم النجاة وكانت بصيغة الإنجاء مما سلف وأشار إليه هذا البحث .

الخاتمة :

وختاماً وبعد حمد الله تعالى أخلصُ إلى تأييد القول الذي يرى ضرورةً في
حصول التوافق اللفظي المعنوي في مجمل آي القرآن الكريم ؛ ألفاظه وحروفه ،
أسمائه وأفعاله ، أدواته وأصواته ، بحسب المقام وبحسب الحال المجتمعي الذي ظهر
في أحوال السياق ، فكان مدعاةً للتنوع . وكانت الحصييلة كما يأتي :

١ - استعمل الفعل (نجى) المضعف ، فيما يأتي:

أ - قصص القرآن التي استعرضت الأحداث ، تروم العبرة والعظة من حال
الأقوام السابقين ، في تفصيل وتجزئة ، فتوافق ذلك التقطيع وتقطع الفعل بالتضعيف ، لتقطع
الأحوال ، وتعدد أسباب الهلاك ، وكان من معاني التضعيف في المضعف ؛ التكاثر
والتوسيع ، والإجابة المتأنية ، وتثبيت الحقائق وتأكيد نوعها ، والتلبث والتمهل في النتيجة ،
والدلالة على التكرار ، هكذا عندما تكون العقوبة مرتقبة والنجاة مرتقبة معلومة فيزول عنصر
المفاجأة ، ويزيد عنصر التأكيد والتوثيق ، وبيان القدرة على إيقاع الفعل ، وهذا يتأتى مع
الفعل المضعف ، لا مع الفعل المزيد بالهمزة ، وقد حصل هذا في ؛ سورة البقرة ، والأعراف ،
ويونس ، وهود ، والإسراء ، وطه ، والأنبياء ، والشعراء ، والقصاص ، والعنكبوت ، ولقمان ،
والصافات ، وفصلت ، والقمر ، والتحريم .

ب - اقتضى كل دعاء في سياق طلب النجاة الفعل (نجى) المضعف ؛ لأن الدعاء

لا يأتي إلا بعد عسر ومشقة ؛ فيكون فيه إلحاح الطلب ، وتأكيد الاستجابة .

ت - (لما) يصحبها الفعل (نجى) ؛ لأنها تُفيد قلب المعنى إلى المضي ، وتفيد
وجود الشيء لوجود أمرٍ آخر ، الثاني منهما مُرتَّبٌ على الأول ، حيث تنتفي المفاجأة ويتحتم
التأكيد والتثبيت .

ث - في كل سياق دلّ على تراخي وقوع النجاة بوجود (ثم) اقتضى السياق الفعل

المضعف (نجى) ، إلا حين يتكلم على صدق الوعد ؛ فإنه يقتضي مزيد الهمزة (أنجى) .

٢ - بالإضافة لما ذكر من أن زيادة الهمزة على الفعل الثلاثي يراد بها التعدية ،

و الإزالة ، وسرعة الاستجابة للطلب ، وسرعة التنفيذ ، والمفاجأة ؛ فقد تبين الآتي :

أ - إن (أنجى) أسرع من (نجى) في التخلص من الشدة والكرب ، فغرض السياق إظهار القدرة على وقوع النجاة ، وسرعة تحققها ، للدلالة على القدرة الإلهية على الاستجابة . والسياق يستعمل صيغة (أنجى) لتجاوز الزمن والعبور من مرحلة إلى أخرى ، فكأن ما قبل النجاة عهدٌ ، وما بعدها عهدٌ جديد، فتوافق هذا وفعل سرعة التنفيذ والمفاجأة لا فعل التلبث والتكرار الذي يتوافق والتعرض إلى الأحداث المتوالية المتنوعة . فصيغة المفاجأة والسرعة تأتي للتجاوب مع الأحداث ، كالخوف المستعجل ، والنجاة المستعجلة ، وسرعة الإيقاع ، وسرعة وقوع النجاة على الفور متزامنة مع الحدث ، والوقت واحد . كل ذلك يقتضي صيغة الفعل المزيد بالهمزة ؛ للدلالة على أنّ النجاة أوقعت إيقاعاً ، وحصلت على الفور . في حال واحدة ، وموطن واحد ، وهذه الحقيقة تتوافق مع همزة التعدي والتجاوز .

ب - إن الاستجابة للنجاة بعد طلبها ، كانت بصيغة الفعل المتعدي بالهمزة (أنجى) للدلالة على الإجابة الفورية لمرة واحدة ، وفي هذا الحوار يتناغم الفعل المزيد بالهمزة مع الغرض منه ؛ الذي هو إظهار السلامة بالنجاة ، وإظهار القدرة والتمكن في حال الإنجاء ، ما لم يكن السياق إخباراً عن وقوع الاستجابة في الماضي بوجود قرينة لفظية ؛ فإن المناسب سيكون حينها الفعل (نجى) .

ت - تبين أن شرط النجاة ب(إن) يقتضي سرعة الإجابة ، ويقتضي طلب تحقق المطلوب على الفور : (لئن أنجانا من هذه) ، فأتى بالصيغة (أنجى) للدلالة على سرعة الإجابة ، لأنهم طلبوا إجابة الدعاء بأسرع ما يمكن ، ولأنهم في ضيق ، في الظلمات يدعون مستمرين تضرعاً وخفية ، وهذا يقتضي تحقق المطلوب على الفور .

ث - كذلك المعول عليه مع (لولا) صيغة المزيد بالهمزة (أنجى) فجوابها يقتضي السرعة في الاستجابة ؛ أي لو أهلكنا لأنجينا .

ج - إن مجيء الفعل (أنجى) تكرر في سورة البقرة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، وإبراهيم ، والأنبياء ، والشعراء ، والنمل ، والعنكبوت ، في ذات القصص التي بينا مع الفعل (نجى) حين تغير القصد والمراد ، وكما نشر في طي هذا البحث . وختاماً نسأل الله تعالى السلامة من الزلزل .

الهوامش

^١ ينظر ؛ الجامع الصحيح : رقم (١٤٠) ، ومسند أحمد: (٢٢٧٤) .

^٢ الموافقات في أصول الشريعة ، للشاطبي : ٨٨ / ٢ .

^٣ ينظر : ٥٤ / ١ .

^٤ ينظر علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ٦٨ .

^٥ ينظر دور الكلمة في اللغة : ٥٤ .

- ^٦ ينظر التعبير القرآني والدلالة النفسية : ٥٦ .
- ^٧ إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب : ٢٩١ .
- ^٨ تيجان البيان في مشكلات القرآن : ٣٧ .
- ^٩ لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٨ .
- ^{١٠} الكتاب : ٥٥/٤ ، وكذا ورد في المخصص ، لابن سيده : ٣٥٦/٤ .
- ^{١١} ينظر شرح الرضي على الشافية : ٩٢/١ .
- ^{١٢} ينظر تكملة في تصريف الأفعال : ٦٠١/٢ .
- ^{١٣} ينظر : أسرار التكرار في القرآن / ٢١٧ ، والبرهان في علوم القرآن : ٣٣/٣ ، وبصائر ذوي التمييز : ٥١٢/١ .
- ^{١٤} ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٦٦ .
- ^{١٥} تفسير ابي السعود ، محمد بن محمد العمادي :
- ^{١٦} ينظر تكملة في تصريف الأفعال : ٦٠٢/٢ .
- ^{١٧} ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٦٦ .
- ^{١٨} درة التنزيل وغرة التأويل : ١٥٤ .
- ^{١٩} البرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٤٣ .
- ^{٢٠} في سورة البقرة ، مرتان ؛ الأولى بلفظ (نَجِينَاكُم) آية/٤٩ ، والأخرى (أَنْجِينَاكُم) آية/٥٠ .
وسورة الأنعام ، ثلاث مرّات ؛ مرتان بلفظ (يُنَجِّيكُم) آية/٦٣ - ٦٤ ، و (أَنْجَانَا) آية/٦٣ مرة واحدة .
وسورة الأعراف ، ست مرّات ؛ (أَنْجِينَاهُ) آية/٦٤ ، ٧٢ ، ٨٣ ثلاث مرّات ، و (نَجَانَا) آية/٨٩ و (أَنْجِينَاكُم) آية/١٤٠ ، و (أَنْجِينَا) آية/١٦٥ .
وسورة يونس ، ست مرّات ؛ (أَنْجِينَتْنَا) آية/٢٢ ، و (أَنْجَاهُم) آية/٢٣ ، و (نَجِينَاهُ) آية/٧٣ ، و (نَجْنَا) آية/٨٦ ، و (نُنَجِّيكُم) آية/٩٢ ، و (نُنَجِّي) آية/١٠٣ .
وسورة هود ، أربع مرّات ؛ (نَجِينَا) آية/٥٨ ، ٦٦ ، ٩٤ ، ثلاث مرّات و (أَنْجِينَا) آية/١١٦ .
وسورة يوسف ، مرة واحدة (فُنَجِّي) آية/١١٠ .
وسورة إبراهيم ، مرة واحدة ؛ (أَنْجَاكُم) آية/٦ .
وسورة الإسراء ، مرة واحدة ؛ (نَجَاكُم) آية/٦٧ .
وسورة مريم ، مرة واحدة ؛ (نُنَجِّي) آية/٧٢ .
وسورة طه ، مرتان ؛ (نَجِينَاكُم) آية/٤٠ ، (أَنْجِينَاكُم) آية/٨٠ .
وسورة الأنبياء ، ست مرّات ؛ (أَنْجِينَاهُم) آية/٩ ، (نَجِينَاهُ) آية/٧١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٨ ، أربع مرّات ، و (نُنَجِّي) آية/٨٨ ، مرة واحدة .
وسورة المؤمنون ، موضع واحد ؛ (نَجَانَا) آية/٢٨ .
وسورة الشعراء ، خمسة مواضع ؛ (أَنْجِينَا) آية/٦٥ ، ١١٩ ، موضعان ، و (نَجِينِي) آية/١١٨ ، ١٦٩ ، موضعان ، و (نَجِينَاهُ) آية/١٧٠ ، موضع واحد .
وسورة النمل ، موضعان ؛ (أَنْجِينَا) و (أَنْجِينَاهُ) آية/٥٣ ، ٥٧ .
وسورة القصص ، موضع واحد ؛ (نَجْنِي) آية/٢١ .
وسورة العنكبوت ، أربعة مواضع ؛ (أَنْجِينَاهُ) آية/١٥ ، (أَنْجَاهُ) آية/٢٤ ، (نُنَجِّينُهُ) آية/٣٢ ، (نَجَاهُم) آية/٦٥ .
وسورة لقمان ، موضع واحد ؛ (نَجَاهُم) آية/٣٢ .
وسورة الصافات ، ثلاثة مواضع ؛ (نَجِينَاهُ) آية/٧٦ ، ١٣٤ ، موضعان ، و (نَجِينَاهُمَا) آية/١١٥ .
وسورة الزمر (ينجي) آية/٦١ ، وسورة فصلت (نجينا) آية/١٨ ، وسورة الدخان (نجينا) آية/٣٠ ، وسورة القمر (نجينا) آية/٣٤ ، موضع واحد في كل منها ، وسورة التحريم (نجني) آية/١١ ، موضعان ، وسورة الصف (تُنَجِّيكُم) آية/١٠ ، وسورة المعارج (يُنَجِّيه) آية/١٤ .
^{٢١} ينظر معاني القرآن للفراء : ٦٨/٢ - ٦٩ ، والكشاف : ١٧٢ / ٢ .

- ٢٢ تيجان البيان : ٢٥٢ .
- ٢٣ ينظر صفحة (٣) من هذا البحث .
- ٢٤ ينظر الصفحات: ٧-٩ .
- ٢٥ سر الإعجاز في القرآن ، عودة الله منيع القيسي: ١١٩ .
- ٢٦ ينظر الكتاب ، سيبويه : ٤/٢٣٤ .
- ٢٧ ينظر المقتصد في شرح الإيضاح : ١٠٩٢/٢ .
- ٢٨ ينظر النحو الوافي : ٤/٤٢٠ .
- ٢٩ ينظر فتح القدير : ٢/٥٢١ .
- ٣٠ ينظر التحرير والتنوير : ٦/١١٤ .
- ٣١ ينظر النحو الوافي : ٤/٤١٨ .
- ٣٢ ينظر سر الإعجاز في القرآن ، د عودة الله منيع القيسي : ١١٩ .
- ٣٣ تنظر الصفحتان/٩-١٠ من هذا البحث .
- ٣٤ ينظر أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، للإمام فخر الدين الرازي : ٤٢ .
- ٣٥ ينظر ص : ١٣ من هذا البحث .
- ٣٦ ينظر النحو الوافي : ٤/٥١٢ .
- ٣٧ شرح الدماميني على المغني : ٢/١٨٦ .
- ٣٨ الكتاب : ٤/٢٣٥ .

ثبت المصادر والمراجع

- أسرار التكرار في القرآن ، تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا الله ، دار بو سلامة للطباعة والنشر- تونس ، ط١٩٨٣، ١ م .
- أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، للإمام فخر الدين الرازي (٦٠٤هـ)، تح. محمود أحمد محمد وآخرين ، دار واسط _ بغداد، ١٩٩٠ م .
- إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها ، عبد الكريم الخطيب ، الكتاب الثاني ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ م .
- الأفعال ، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي ، ابن القطّاع (٥١٥ هـ) دائرة المعارف العثمانية ، جيدر آباد ، ط١ ، ١٣٦٠هـ .
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرمانى، (٥٠٥ هـ) تح. عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (٧٩٤ هـ) ، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة _ بيروت، ١٣٩١هـ .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) تح. محمد علي النجار ، ج/١ ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، ط.٢ ، ٢٠٠٦ .
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور (١٩٧٣م)، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ م .
- التعبير القرآني والدلالة النفسية ، د. عبد الله محمد الجبوسي ، دار الغوثاني _ دمشق ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ م .
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، لأبي السعود محمد بن ممد بن مصطفى العمادي الحنفي (٩٨٢ هـ) ط. ١ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٩م.
- التفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٤ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.٣ ، ٢٠٠٩م.
- تكملة في تصريف الأفعال،بذيل كتاب شرح بن عقيل ، محمد محيي الدين عبد الحميد (١٩٧٣هـ)، دار الفكر، ط٥ ، ١٩٧٢ م.
- تيجان البيان في مشكلات القرآن ، ل. محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري (١٢٠٣ هـ) ، تح. حسن مظفر الرزوي ، ط١ ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٥م.
- الجامع الصحيح، المختصر ، لمحمد بن اسماعيل أبي عبد الله البخاري (٢٥٦هـ) ، دار ابن كثير ،اليمامة_بيروت، تح. مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، ١٩٨٧م.
- درة التنزيل وغرة التأويل ، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي (٤٠٥ هـ) دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ) ، تح. محمد التنجي، دار الكتاب العربي_ بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ م .
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال محمد بشر، المطبعة العثمانية، ط/٣ ، ١٩٧٢م.
- سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن ، د. عودة الله منيع القيسي ، دار البشير / سوريا ، ٢٠٠٨ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ) دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (٧٦٩ هـ) ، دار الفكر ، ط.١٥ ، ١٩٧٢ .
- شرح الدماميني على مغني اللبيب ، محمد بن أبي بكر الدماميني (٨٢٨هـ) صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط.١ ، ٢٠٠٧ .
- شرح الشافية ، لرضي الدين الاسترابادي ، تح. محمد محيي الدين وجماعته ، مطبعة حجازي ، القاهرة .

- علم الدلالة ، د.أحمد مختار عمر، دار العروبة_ الكويت، ط/١٩٨٢، م١.
- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) ، ط. ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥١هـ .
- الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح. عبد السلام هارون ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، (٥٣٨هـ) ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ، دار الفكر للطباعة .
- المخصص ، ابن سيده ، المكتب التجاري للطباعة ، بيروت، أوفسيت .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط/٢ ، شركة العاتك لصناعة الكتب _ القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- مسند الإمام أحمد ابن حنبل، لأحمد ابن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة_ القاهرة .
- معاني القرآن ، لأبي زكريا الفراء (٢٠٧هـ) ، تح احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، مصورة عن طبعة عالم الكتب بيروت ، ط / ٢ ، ١٩٨٠ .
- المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) تح. د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ .
- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي(٧٩٠هـ)تح. أحمد السيد وتعليق عبد الله دراز، المكتبة التوفيقية .
- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، ط ٥ ، ١٩٧٥ .